بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أما بعد:

ـ عليك أيها السالك المجاهد في سبيل الله أعداءَ الله «ومعلوم أنَّ المؤمن يجاهد أعداء الله ظاهراً وباطناً»، وموانعَ الوصول إلى توحيده جلَّ وعلا؛ أن تجاهد أولاً مع نفسك التي بين جنبيك، إذ هي من أعدى عدوِّك، وأشدُّ صولة واستيلاء إلى مملكةِ باطِنك وقلبِك الذي هو مخيَّمُ سُرادقات سلطان الوحدة، ومحلُّ نزول قهرمان العزة، ومهبطُ الوحي الإلهي والوارد الغيبي «لأن الواردات والنفحات الإلٰهية تنزل على القلب»؛ فلك أن تزيل صولتها وتشتِّت شملها وتفرِّق جمعها التي هي جنودها وأعوانها، من القوى الشهوانيَّة والغضبيَّة «ومعلوم هؤلاء يهجمون على القلب»، وجميعِ الأوصافِ البهيميَّةِ «من التلذُّذ بالطعام، والتلذُّذ بالمشروبات... والتلذُّذ بالمقامات، والتلذُّذ باستيلائه على الناس» المتداعيةِ إلى تخريب القلب، وتعمير النفس الأمَّارة وتقويتها وتقويمها «يعني بهذه الأخلاق تعمر النفس الأمَّارة بالسوء»؛ إذ عداوتها ومنعها ذاتية حقيقية وبلا واسطة، فعداوتُها بدون واسطة، وعداوةُ سائر الموانع بواسطتها.

«وأنت محامي لها، وإذا واحد من المؤمنين يخالفُ نفسك يذهب عقلك، تكاد أن تقتله، لأنك محاميها، ولذا قال الله جلَّ وعلا: ﴿أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان: ٤٣]».

وإياك إياك الإطاعةَ والانقيادَ إليها، فإنها تشغلك عن الحق، وتضلُّك عن سبيله جلَّ وعلا، وتغريك إلى الباطل، وتقودك إلى طريقه «كأنها تأخذ بسوط وتضرب به لتحرفك عن الاستقامة، فعليك أن تأخذ صولة القهارية الربانية».

فاعلم أيُّها المجاهد الطالب للغلبة على جنود النفس الأمارة، أنه لا يمكن لك هذا إلا بالاعتزالِ عن إقطاع الشيطان، ومهلكة النفس ومشتهياتها ومستلذاتها بالكلية «واحدة من مشتهياتها أنَّ الإنسان يذلُّ لها ويطلب مستلذات الأكلات»، والتشمُّرِ نحو الحقِّ بالعزيمة

الخالصة عن الرياء والرعونات «من الشهرة وأمثالها»، والانخلاعِ عن الأوصاف البشرية بالإرادة الصادقة، والتوجُّه نحو الوحدة الذاتية عن طريق الفناء بإسقاط الإضافات المُشعِرة لتوهُّم الكثرة.

وبالجملة لا يتمُّ سلوك السالك في طريق التوحيد إلا بالفناء في الله والبقاء ببقائه، «لو تتفكرون في العالم الموجود الذي نحن نعيش فيه، كلُّهم يتسابقون في الغنى وزيادة المادة والفلوس والكراسي والمقامات، وعلى رأس الكلِّ المشيخة، هذا بلاؤنا ومصيبتنا».

الذي يريد أن يكون قاهراً على نفسه الأمارة وهواه، عليه أن يذكر ربَّه كثيراً، ولا يكون غافلاً عنه جلَّ وعلا «إي والله»، نرجو الله تعالى أن نأخذ بذلك، وأنتم تأخذون به كذلك إن شاء الله تعالى.

ربَّنا هب لنا من لدنك جذبة تنجينا عن مضايق هوياتنا، وتوصلنا إلى فضاء توحيدك بمنِّك وجودك.

والحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وصلى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا ما أملاه عليَّ العارف بالله المربي الإمام، سيدي الشيخ أحمد فتح الله جامي، شيخ الطريقة القادرية الشاذلية الدرقاوية، حفظه الله تعالى ونفعنا به، آمين.

يوم الأحد: ٤/ربيع الثاني/١٤٣٣هـ

الموافق: ٢٦/ شباط / ٢٠١٢ م

** ** **